د. مباركية عيسى

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: النقد السيميائي

التخصص: نقد ومناهج– ليسانس –

المستوى: السداسي الخامس

المحاضرة رقم 07

سيمياء السرد

تعد من أهم الاتجاهات السيميائية، وقد ظهرت مع مجموعة من الباحثين أبرزهم " ألجيرداس جوليان غريماس"، وتلميذه " كورتيس" و "ميشال أريفيه" و"جان كلود كوكي" وهم يبحثون في كل الأشكال الخطابية، إذ نجد لهم أبحاثا في الأسطورة والنصوص الدينية ... وغيرها. وأشهر هذه الأعمال تمثلت في أعمال " غريماس" الذي استمثر معارفه اللسانية والفكرية والفلسفية فخرج بعدة مفاهيم متعلقة بالسيميائية السردية منها: النموذج العاملي، المربع السيميائي...

وحتى نتمكن من معرفة كل هذا ينبغي علينا الرجوع إلى المقومات أو الخلفيات المعرفية التي بنى عليها غريماس نظريته.

I. الخلفيات المعرفية للسيميائية السردية:

لقد لعبت الأصول الفلسفية، والجذور التاريخية أهمية كبرى في تحديد الإطار المعرفي لهذا العلم، فقد استمدت السيميائيات السردية مفاهيمها من الشكلانية الروسية خاصة مع "فلاديمير بروب"، والأنثروبولوجيا البنيوية خصوصا مع "كلود ليفي ستراوس"، ومن اللسانيات السوسيرية، والنحو التوليدي مع "تنيير"، والمنطق... وغيرها.

1 -**الشكلانية الروسية:** «فتحت دراسة "بروب" للحكاية الشعبية آفاقا أمام السيميائيات السردية (الدلالية)، فقد قام بمقارنة موضوعات القصص العجيبة، وعزل الأجزاء المكونة لها، حيث توصل إلى حقيقة وجود قيم ثابتة وأخرى متغيرة، فما يتغير في القصص هو أسماء الشخصيات وصفاتها، وبينما أفعالها (وظائفها) ثابتة لاتتغير»[1]، ولقد أراد "بروب" «الكشف عن العناصر المشتركة المشكلة للمتن، أي

الوصول إلى عزل العنصر الدائم و الثابت »[2]، وقد حصر القيم الثابتة (الوظائف) في إحدى وثلاثين وظيفة وقد استفاد "غريماس" من مورفولوجية "بروب"، رغم النقائص الواضحة التي تضمنتها حسب رأيه، فهي «ذات قيمة كبيرة وذلك لطبيعها الاستفزازية وقدرتها على إثارة الفرضيات، ورأى أن المهمة الحالية للسيميائيات هي تعميق وتوسيع مفهوم الترسيمة السردية القانونية »[3]، وقد نهض مشروع "غريماس" على أساس إعادة النظر في مشروع "بروب"، بمعنى من المعاني من حيث تعديله واختزال وظائفه وتنقيح تحديداته واستيعابه ضمن إطار شامل ليصل في الأخير إلى أغلب المفاهيم التي جاء بها في هذا الجانب.

2 -**الأنثروبولوجيا البنيوية**: تعد أعمال "كلود ليفي ستراوس" مرجعية فكرية بارزة ومهمة في بناء السيميائية السردية لغريماس، فقد شكلت قراءة "ستراوس" للمشروع "البروبي" « نقطة انطلاق حقيقية لغريماس في قراءته للمشروع نفسه وإدخال بعض التعديلات الجوهرية عليه، حيث أدرك "ستراوس" ذلك النقص الذي خص المشروع "البروبي"، فقام بتقليص مجموع الوظائف الواحدة والثلاثين التي حددها – بروب– وطبقها بشكل ثابت على مجموع مائة حكاية شعبية وإجراء إزدواجية لها، وهو أمر استرعى اهتمام – غريماس– حين صياغته لمشروعه العاملي لقوله: يمكن للملفوظات السردية أن تتزاوج، ليس باعتبار الجوار النصي بل حتى على مسافة بينها... »[4]، وكذا اهتمامه بالبنيات الدالة، مستدركا ذلك على تصور "بروب" الذي يلاحق الشكل ويضيع المضمون، وهو الذي يؤسس خصوصية الحكاية حسب رأي "ليفي ستراوس"، فهذه الطروحات التي قدمها "ليفي ستراوس" كانت بمثابة الدعم المنهجي لبناء النظرية السيميائية السردية لدى غريماس.

3 -**اللسانيات السوسيرية**: لقد كانت اللسانيات أحد المصادر والمنابع التي أسهمت بشكل كبير في بلورة السيميائية السردية، بحيث كانت المنطلق الأساسي للتفكير السيميائي المعاصر، لاسيما أعمال الألسني " فرديناند دي سوسير" الذي يعود له الفضل في سن المفاهيم العلمية الأولى التي ارتكزت عليها السيميائية، يقول "غريماس": «يرجع الفضل إلى سوسير الذي عمل في هذا الاتجاه، وعرف كيف يحول رؤية العالم الخاصة به إلى نظرية للمعرفة ومنهجية للألسنية »[5]، فالكثير من المفاهيم الألسنية ذات الأصل السوسيري قد شكلت أدوات إجرائية فاعلة وفتوحات منهجية مهمة بالنسبة للنظرية السيميائية في مقارباتها وتحليلاتها السردية المتنوعة، حيث شكلت الثنائيات اللغوية : (الدال والمدلول) و (اللغة والكلام) و (الاختيار والتركيب) و (الداخل والخارج) و (الحضور والغياب) وكذا مفهوم المحايثة ومبدأ الاختلاف،

والمقدمات النظرية والمنطلقات الأساسية التي استثمرتها السيميائية في بناء تصوراتها ومفاهيمها حول النص الأدبي.

4 -**النحو التوليدي**: يعد النحو التوليدي لـ "تنيير" أحد الروافد المهمة لنظرية "غريماس" العاملية، حيث أفاد من جهوده الخاصة ببناء الجملة البسيطة (النحو البنيوي) و«الذي ينطلق فيه من كون أن الفعل يحتل موقعا مركزيا في الجملة الفعلية»[6]، وكذا مطابقته بين الأدوار العاملية والعلاقات النحوية على نحو تقسيمه للملفوظ مثل تقسيم جملة إلى : الفعل، الفاعل، المفعول به.

أما الأدوار العاملية فقد أعاد "غريماس" صياغتها وفق التقابلات:

- ذات VS مرسل
- مرسل VS مرسل إليه
- مساعد VS معارض

وكل هذه المرجعيات والخلفيات المعرفية قدمت الإلهام الفكري والدعم المنهجي لغريماس في بلورة نظريته السيميائية.

II. الجهاز المفاهيمي والمصطلحي عند غريماس:

1. **النموذج العاملي بوصفه نظاما:** مستوى من مستويات التحليل السيميائي للنصوص السردية يقوم على أساس النموذج العاملي الذي يعد تشخيصا غير تزامنيا واستبدال لعالم الأفعال ذلك أن: السرد يقوم على التراوح بين الاستقرار والحركة والثبات والتحول ؛ فالسردية وفق منظور "غريماس" تقوم على مجموع التحولات تنتهي إلى اتصال الفواعل بموضوعاتها أو انفصالها عنها.

- كما يمكن أن نطلق عليه بأنه شبكة من العلاقات التي تربط العوامل، وقد توصل"غريماس" إليه «انطلاقا من هذا التعديل (وظائف بروب) إلى صياغة نموذجه العاملي مختصرا وظائف "بروب" في ست وظائف أساسية تربط بينها شبكات من العلاقات المتضادة والمتآزرة »[7]، وبالتالي أسس هذا النموذج العاملي على ست عوامل (المرسل والمرسل إليه) و (الذات والموضوع) و (المساعد والمعارض).

وتنتظم بين العوامل الست علاقات:

- فالعلاقة بين الذات والموضوع ⟵ علاقة رغبة.
- العلاقة بين المرسل والمرسل إليه ⟵ علاقة اتصال
- العلاقة بين المساعد والمعارض ⟵ علاقة صراع

ويمكننا أن نمثل لهذا النموذج العاملي بهذه العبارة: (طالب يرغب في النجاح)

ع1 (الذات: الطالب)..... علاقة رغبة ..... ع2 (الموضوع: النجاح)

ع3 (المرسل: الإرادة) ..... علاقة اتصال ..... ع4 (المرسل إليه: الاجتهاد)

ع4 (المساعد: الأستاذ) ..... علاقة صراع ..... ع6 (المعارض: رفيق السوء)

2. **النموذج العاملي بوصفه إجراء:** ويكون ذلك عن طريق تفعيل العناصر المشكلة للنموذج العاملي كمايلي:

2-1- **الخطاطة السردية:** وهي نتاج التمحيص النقدي الذي قام به "غريماس" تجاه مورفولوجية "بروب"، استبدل مفهوم التتابع الوظيفي بما يطلق عليه بالخطاطة السردية التي تتحدد انطلاقا من أنه: « إذا كان نص سردي ينطلق من النقطة (أ) ليصل إلى (ب) وكيفما كانت طبيعة نقطة البدء والنهاية، فإن الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية لا يتم إلا عن طريق قواعد ضمنية، وبناء على هذا يجب التعامل مع هذا الانتقال كعنصر مبرمج بشكل سابق داخل الخطاطة السردية»[8].

ويتم تحديد الخطاطة من خلال أربعة مراحل سردية هي: (التحريك، الأهلية، الانجاز، الجزاء)

- **التحريك:** وهي مرحلة سردية سابقة للفعل الحدثي، ويمثل نقطة الانطلاق من خط سير الحكي إلى جانب بقية المراحل التي تتوالى تباعا والتحريك هنا؛ بمعنى "خلق صيغة فعل الفعل" (الفعل الذي يدفع إلى إنجاز فعل)، ويتضح التحريك بالفعل الذي يفعله المرسل في الفاعل، وهو فعل إقناعي بالدرجة الأولى.
- **الأهلية:** ثمة قبول لتبني قضية ما من طرف "الذات" التي لابد أن تمتلك الأهلية أو الكفاءة الضرورية لتحقيق رغبتها عبر الإنجاز؛ وعليه «فإن الأهلية هي مايدفع إلى الفعل أي كل المسبقات والمفترضات التي تجعل من الفعل ممكنا»[9].

- **الإنجاز:** لا يمكن أن يتحقق الإنجاز بعيدا عن العلاقة التناقضية في النموذج التكويني، حيث تدخل الذوات في علاقة سجالية لتنتهي بنفي موضوع وإثبات آخر، ويتحقق الإنجاز عبر سلسلة من الملفوظات السردية المترابطة على النحو التالي:

(م س) ⟵ (ملفوظ سردي) ⟵(ذ)⟵ (ذات)

م س = مواجهة (ذ1 ⟺ ذ2).

م س = هيمنة (ذ1 ⟸ ذ2).

م س = منح (ذ1 ⟹ ذ2).

وتتطابق هذه الملفوظات مع ثلاث حالات:

– الحالة الأولى: يعبر الملفوظ السردي بشكل تشخيصي عن العلاقة التناقضية بين حدين متقابلين.

– الحالة الثانية: يعتبر هذا الملفوظ نقطة انطلاق لعملية النفي الموجهة: حيث أن ذ 1 تنفي ذ2 أو العكس.

– الحالة الثالثة: الملفوظ يطابق مع محفل الإثبات الذي يتجلى في منح الذات موضوعا ما.

- **الجزاء:** يمثل المرحلة النهائية ضمن الخطاطة السردية الناتجة من الفعل السردي؛ فالجزاء هو الصورة النهائية التي يستقر عليها الفعل السردي، وتشمل هذه المرحلة على حضور مكثف للمرسل الذي يمارس سلطة التحريك والجزاء أيضا.

2-2 **البرنامج السردي:** يتحدد البرنامج السردي « إما من خلال تعاقد مبدئي يحدد نمط تداول الموضوعات داخل المساحة النصية الفاصلة بين لحظتي البداية والنهاية، وإما من خلال إرساء قواعد بنية سجالية تضع على مسرح الأحداث ذاتين تتصارعان من أجل الحصول على نفس الموضوع»[10]، وهنا نكون أمام نمطين من البرامج السردية:

- **البرنامج السردي البسيط:** ونعني به مجموع التحولات والوظائف أو الملفوظات السردية التي تنتقل بالفاعل الأساسي من حالة بدئية إلى حالة حالة نهائية، ويقوم على فعل إنجازي واحد يتوخى قلب الحالة البدئية بغض النظر عن كونها حالة اتصال أو انفصال أو استبدالها بحالة نهائية.

- **البرنامج السردي المركب:** المقصود به إدماج فاعل ثاني يبحث عن نفس الموضوع الذي يبحث عنه الفاعل الأول أو عن موضوع آخر، بحيث يدخل في صراع معه، وهوما يطلق عليه "غريماس" بمضاعفة المشروع السردي.

3. **المربع السيميائي:** إحدى التقنيات التحليلية التي تسعى إلى إظهار التقابلات ونقاط التقاطع بينها في النصوص والممارسات الاجتماعية، صاغه "غريماس" وجعله وسيلة لتحليل الكيانات السيميائية المزدوجة واصفا إياه بقوله: « هو التمثيل المرئي للتمفصل المنطقي لمقولة دلالية ما »[11]، وهذا المربع مبني على ثلاثة علاقات منطقية هي: (التضاد، التناقض، التضمين) ويقوم على متصورين اثنين هما: (الاتصال، الانفصال)

أما المتصور الأول: (الانفصال) فيشمل كلا من (التناقض والتضاد)

أما المتصور الثاني: (الاتصال) فيضم (التضمين)

والشكل التالي يوضح ذلك:

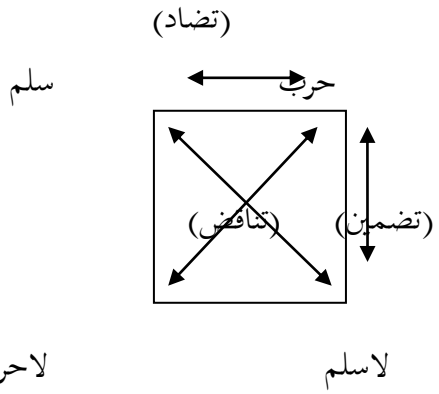

- المربع السيميائي -

وهذا المربع يهيأ لتفجير الدلالة واكتشافها في عمقها المؤسس للنص السردي، وسعى "غريماس" من خلال هذا النموذج إلى تفسير كيف يتم التحول من المفهوم المجرد إلى المشخص المحسوس.

الإحالات:

1 -فلاديمير بروب: مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص:37.

2 -سعيد بنكراد: السيميائيات السردية، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب ، دط، 2001، ص، ص: 17، 18.

3 -أ. ج. غريماس: طرائق تحليل السرد الأدبي (السيميائية السردية)، تر: سعيد بنكراد، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب، ط1، 1992، ص، 188.

4 -سحنين علي: « السيميائيات السردية نظرية غريماس؛ الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية»، مجلة أيقونات، ع3، ص: 49.

5 -جان كلود كوكي: السيميائية (مدرسة باريس)، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، دط، 2003، ص: 3.

6 -رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2000، ص:17.

7 -سحنين علي: « السيميائيات السردية نظرية غريماس؛ الأصول العلمية والمرجعيات الفكرية»، مجلة أيقونات، ع3، ص: 51.

8 -سعيد بنكراد: السيميائيات السردية، ص: 55.

9 -سعيد بنكراد: مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2003، ص: 59.

10 - سعيد بنكراد: السيميائية السردية، ص: 68.

11 - ميشال أريفيه و آخرون: السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص: 1.